

التبيان في تفسير القرآن

(586) الثاني أن تكون أو بمعنى إلا أن، كأنه قال: ليس لك من الامر شيء " إلا أن يتوب عليهم أو يعذبهم فيكون أمرك تابعا لامر الله برضاك بتدبيره فيه قال امرؤ القيس: فقلت له: لاتبك عينك إنما * نحاول ملكا أو نموت فنعدرا (1) أراد إلا أن نموت أو حتى نموت. قوله تعالى: (وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (129) آية بلا خلاف. عموم قوله: " وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ يَفْتَضِي أَن لَه تَعَالَى مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ لَه التَّصَرُّفَ فِيهِمَا كَيْفَ شَاءَ بِلَا دَافِعٍ، وَلَا مَانِعٍ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ تَخْصِيصِ هَذَا الْعَمُومِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يَنْزِعُهُ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ عَلَى كُلِّ وَجْهِ. وَأَوْجِهَ مَا قَلْنَاهُ. وَإِنَّمَا ذَكَرَ لَفْظَ (مَا) لِأَنَّهَا أَعْمُ مِنْ (مَنْ) لِأَنَّهَا تَتَنَاوَلُ مَا يَعْقِلُ، وَمَا لَا يَعْقِلُ، لِأَنَّهَا تَفِيدُ الْجِنْسَ وَلَوْ قَالَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ إِلَّا الْعُقَلَاءُ إِلَّا أَنَّ يَحْمَلُ عَلَى التَّغْلِيْبِ وَذَلِكَ لَيْسَ بِحَقِيْقَةٍ. وَقَوْلُهُ: " يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ " دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حَسْنَ الْعَفْوِ عَنْ مُسْتَحَقِّ الْعَذَابِ، وَإِنْ لَمْ يَتَبَّ لِأَنَّهُ لَمْ يَشْتَرَطْ فِيهِ التَّوْبَةَ. وَقَوْلُهُ: " وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ " يَعْنِي مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ، لِأَنَّ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ لَا يَشَأُ عَذَابُهُ، لِأَنَّهُ ظَلَمَ يَتَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ الْعَفْوِ بِلَا تَوْبَةٍ، لِأَنَّهُ عُلِقَ عَذَابُهُ بِمَشِيئَتِهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَشَأْ، لَكَانَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَا يَلْزَمُ عَلَى مَا قَلْنَاهُ الشُّكَّ فِي جَوَازِ غَفْرَانِ عِقَابِ الْكُفَّارِ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَخْرَجَنَاهُ مِنَ الْعَمُومِ بِدَلَالَةِ إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ _____ " 1 " دِيَوَانُهُ: 89 يَقُولُ: أَنَا نَطْلُبُ الْمَلِكُ فَانْ وَصَلْنَا إِلَيْهِ وَالْأَنْبِيَاءُ فِي طَلْبِهِ حَتَّى نَمُوتَ. دُونَهُ وَهَذَا؟